

أو لماذا ، والنداء يصوت بجلال ، عميقاً في الغابة . ولكن ، بقدر ما كان يحوز الأرض الناعمة غير المخدوشة والظل الأخضر كان حبه لجون ثورنتون يسحبه إلى وراء ، نحو النار الثانية .

لم يكن يمسكه غير ثورنتون . كان بقية النوع البشري مثل لا شيء . قد يمتدحه المسافرون الطارئون أو يدلونه ، ولكنه كان يبقى بارداً تحت ذلك كله ، وإذا كان من يفعل ذلك رجل محب للتظاهر كثيراً فإنه كان يقوم ويتعد عنه . وعندما وصل شريكا ثورنتون : (هانس) و(بيت) ، على العبارة التي طال انتظارها ، رفض (بك) أن يلاحظهما إلى أن عرف أنهما كانا قريبين جداً إلى ثورنتون ، وبعدئذ تحملهما بطريقة سلبية ، قابلاً ملاطفتهما وكأنه يئن عليهما قبوله إياها . كانا من نفس طراز ثورنتون الضخم ، يعيشان قريبين من الأرض ، مفكرين ببساطة فيريان بوضوح ، وما إن نقلا العبارة إلى مجرى التيار الكبير عند المنشرة دواوسون ، حتى فهما (بك) وأساليبه ، فلم يلحا في طلب معاملة صميمية كالتي كانا ينالانها من سكييت ونيغ .

أما بالنسبة لثورنتون ، فقد كان يبدو حبه ينمو وينمو . لم يكن بمقدور سواه أن يضع رزمة على ظهر (بك) في السفر الصيفي . لم يكن أي شيء كبيراً على (بك) بحيث لا يمكنه القيام به ، عندما يأمر ثورنتون بذلك .

ذات يوم ، (وكانوا قد اقترضوا بضمانة عائدات العبارة فتجهزوا وغادروا دواوسون نحو أعالي المياه في «تانا» ) ، كان الرجال والكلاب على ذروة جدار صخري ينحدر ، مباشرة إلى أسفل ، على حوض صخري أجرد على ارتفاع ثلاثمائة قدم إلى أسفل . وكان جون ثورنتون يجلس قرب الحافة ، فلفت انتباهه هانس وبيت إلى التجربة التي كان يبيتها في ذهنه .

- «أقفز ، يا (بك)» ، أمر وهو يمد ذراعه ماسحاً به وناشراً إياه فوق الهاوية . وفي اللحظة التالية كان يتشبث مع (بك) بالحافة القصوى ، في حين